بناءخطب الرصافي البرلمانية – دراسة نقدية –

د.ستار مصطفى فقى محمد بابان
جامعة رابةرين

ملخص البحث

يرتبط اسم الرصافي بأدباء النهضة العربية الحديثة، فهو شاعر وخطيب وسياسي مشهور، يدافع عن الفقر والأمية والمرض بشعره وخطبه التي كان يلقيها، حين كان نائباً في مجلس(المبعوثان)العثماني، و المجلس النيابي العراقي خلال سنوات١٩٣٠ــ ١٩٣٨.

يتضمن البحث تمهيداً ومبحثين، ففي التمهيد، يتطرق الى الخطابة وعناصرها بشكل عام، ثم الى الخطابة السياسية والخطابة البرلمانية. يعتمد البحث على منطلقات وإجراءات النقد التحليلي الذي يعنى بتحليل بناء الخطابة الخارجي والداخلي لدى الرصافي، من المقدمة والعرض والخاتمة، وكذلك لغتها وفكرتها وأسلوبها، مركزاً على ما فيها من صور فنية وفنون بلاغية وظواهر أسلوبية.

المقدمة

الخطابة منصب له خطورته ومقامه الشامخ، لايناله إلاّ ذو حظ عظيم، فمن لم يمتلك مؤهلات الخطابة سرعان ما يفشل ويتراجع أمام النقد البنّاء الذي يتعرّض له البعض، أو قد يقابل بالسخرية والاستهزاء . وما نحن بصدده هو الخطبة السياسية وعلى الأخص الخطابة البرلمانية، التي هي تلقى على جمهور نسطيع أن نقول إنَ المستمع فيها على مستوى عالٍ من الثقافة والنضج، وهم الذين انتخبهم الشعب لينوب عنهم في البرلمان، لذا فإن مراعاة حال السامع هناك أمر ضروري.

الرصافي شاعر عراقي وطني، ومدافع عن الشعب ولاسيما الفقراء والمرأة والمرضى والأميين، إلا اننا وجدنا كتابا طبع حديثاً، يتضمّن خطب الرصافي البرلمانية، فإذن الرصافي شاعر وخطيب وسياسي، وقف دائما الى جانب الشعب يشخّص الداء ويصف له الدواء، ويقف ضد الإستعمار واطماعه، ويلاحظ ذلك جلياً في خطبه.

يعتمد البحث على منطلقات واجراءات النقد التحليلي الذي يعنى بتحليل بناء الخطبة من مقدمة وعرض وخاتمة ولغتها وفكرتها واسلوبها، مركزا على ما فيها من صور فنية وظواهر أسلوبية، كذلك يعنى البحث بدراسة مضامين خطب الرصافي، حيث ان الخطبة أساساً تعنى بالمضمون وتجسد أفكاراً تتعلّق بقضايا إجتماعية أو ثقافية أو سياسية يرجى فيها اقناع الجمهور، على نقيض الشعر الذي يعنى أساسا بالوظيفة الشعرية وتكون فيها الغلبة للدال على المدلول.

يتضمن البحث تمهيداً ومبحثين. ففي التمهيد تمّ تعريف الخطبة بشكل عام ومن ثم الخطب السياسية والخطب البرلمانية. في المبحث الأول تطرّقنا الى البناء الخارجي لخطب الرصافي (المقدمة، العرض، الخاتمة) ويشتمل المبحث الثاني على البناء الداخلي للخطبة (اللغة، الفكرة، الأسلوب) وكذلك يتضمّن الخاتمة و ملخصين أحدهما باللغة الكوردية و الثاني بالانجليزية مع قائمة بالمراجع والمصادر.

التمهيد:ـ

ظهرت الخطابة كفن أدبي، كونها وسيلة مؤثرة من وسائل الابلاغ الشفهي التي يقصد منها فهم السامعين، وإقناعهم بما يهدف اليه من آراء ونظرات بأسلوب ملائم لمستواهم الثقافي والعاطفي، فهي وسيلة إيصال الافكار والتواصل بين أفراد المجتمع وأسرعها عبر التجمعات والمناسبات للوصول الى الأسماع والعقول، عبر المرسل (الخطيب) والرسالة (الخطبة) والمرسل اليه (المستمعين).

يعرّفها أرسطو بأنها:"هي الكشف عن الطرق الممكنة للاقناع في أي موضوع كان"[1]، يتطرّق المحدثون إلى تعريف الخطابة بأنها:"فن من فنون الكلام غايته إقناع السامعين وإستمالتهم والتأثير فيهم بصواب قضية أوتفنيد أخرى"[2]. أو هي:"مجموعة القواعد التي يلتزم بها الخطيب أثناء إلقائه الخطبة أمام الجمهور ، وذلك كرفع الصوت وخفضه أحيانا ومراعات الصور البلاغية، وتقسيم الخطبة الى فقرات والضغط على المواطن الهامة فيها"[3]. ويجعل محمد ابو زهرة من الخطابة علماً حين يعرّفها"انها مجموع القوانين التي تعرف الدارس طرق التأثير بالكلام ووسائل الاقناع، وما يجب ان يكون عليه الخطيب من صفات، وما ينبغي ان يتجه اليه من المعاني في الموضوعات المختلفة، وما يجب عليه ان تكون ألفاظ الخطبة وأساليبها وترتيبها، وهو علم الخطابة"[4]. وظّف الرسل والانبياء والمصلحون والملوك وسائر الناس الخطابة للتأثير وتوجيه الناس بغية تحويلهم الى قوة فاعلة، نحو تحقيق هدف معين، حيث ان الكلام المسموع من خطيب أكثر تأثيراً من الكلمات المقروءة في كتاب. على الخطيب اذن ان يعتمد الوسائل المختلفة لإقناع الجمهور، مستعينا بالأدلة والبراهين لإثبات صواب قضية وتفنيد أخرى، ولا يتم هذا إلا بنظرته الصادقة الى المشكلة وتعليلها الصحيح، وكذلك أن يتمكن الخطيب من تحريك عواطف الجمهور وتوجيهها، فيتمكن من تهدئة الجمهور أو يثير فيهم مشاعر وإنفعالات.

جعل أرسطو هذا الفن أوسع من أن تشتمل فقط على الخطابة القضائية والاستدلالية والاستشارية، أضاف اليها شرط البلاغة بعلومها الثلاث(البيان والبديع والمعاني)، لكل نوع من الخطابة غايتها المميزة فـ "الخطابة الاستدلالية، غايتها بيان الجميل أو القبيح من الافعال، والقضائية تميز المشروع من غير المشروع، كما تستهدف الاستشارية شرح النافع والضارّ"[5]. بذا فإن أكثر الخطب العربية يمكن درجها فيما سماه أرسطو بالخطابة الاستدلالية التي هي في مقامات الصلح والمخالفة وحرمة الجوار، والديّة والمفاخرة وخطب الزواج[6]، و للعرب الخطابة القضائية ولكن ليس بشكلها الحالي الا ماندر، كخطب يوم السقيفة، واستطلاع علي بن أبي طالب رأي الصحابة في الوقوف بوجه معاوية[7]، وخطبة معاوية في عقد البيعة لابنه يزيد[8].

---

(1) فن الخطابة، أرسطو، ترجمة:عبدالرحمن البدوي، دار الشؤون الثقافية، ١٤/١٩٨٦.

(2) الخطابة وفن الالقاء، د.أشرف محمد موسى، مطبعة الخانجي بالقاهرة، ٧/١٩٧٨.

(3) معجم مصطلحات الادب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، بيروت، ٣٧١/١٩٧٤.

(4) الخطابة أصولها وتاريخها في أزهى عصورها عند العرب، محمد أبو زهرة، دارالفكر العربي، بيروت،١١/١٩٣٤.

(5) نقلا عن: النقد الادبي الحديث، د.محمد غنيمي هلال/١٠١ ــ١٠٢.

(6) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج٢، القاهرة، ٨/١٩٤٨.

(7) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، د،ت/١٤٠ــ١٥٢.

(8) الامالي، أبوعلي القالي، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ج١، (د.ت)/٤ ــ ٧١.

للخطابة ولا سيما الخطابة السياسية، دور كبير في إيقاد مشاعر الجماهير في عصور النضال ضد الإستعمار والى ظهور إحتجاجات كبيرة ضد الإحتلال، مما أدى الى ظهور خطباء سياسيين كبار تمكنوا من جذب إهتمام شرائح واسعة من الشعوب العربية.

الخطابة السياسية

الخطابة السياسية كما عرّفه د.عماد عبداللطيف"كلام شفاهي يلقيه سياسيون أمام جمهور، ويتناولون فيه أمور الحكم وقضاياه. وهي وسيلة من وسائل التواصل بين النخب السياسية والشعب، بين النخب السياسية فيما بينها؛ وظلت الاداة المثلى للتأثير في الجماهير وحشدهم في أوقات السلم والحرب على مدارآلاف السنين"[٩]. وكذلك يعرفه د.مازن الوعر"هو تركيب من الجمل موجه عن قصد الى المتلقي بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب سياسياً"[١٠]، بغية تغيير النفوس والعقول والافكار والواقع، أو"هي التي تدور حول الشؤون العامة للدولة، فتشمل الخطب التي تلقى في البرلمان، وفي المجتمعات الانتخابية، والاندية الحزبية، والمؤتمرات الدولية السياسية، سواء تعلقت بأمور خارجية كالمعاهدات، والحرب، والسلام"[١١]، أو أمور داخلية كالتعليم، والاقتصاد، والزراعة والتشريع ونظام الحكم.

تزدهر الخطبة السياسية في الدول التي لها دستور، كونها وليدة الحرية، لذا نرى بأنها بدأت عند اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد[١٢]، بسبب الحكم الديمقراطي لديها، حيث ان الشعب فيها مصدر القيادة والتوجيه، فالسلطة الحاكمة تسعى الى رضى الشعب وتأييده، من خلال الخطابة التي كانت أفضل وسيلة لديهم، ومن ثم إرتقت الخطبة لدى الرومان، فيتم مناقشة أمور الدولة بكل حرّية في مجلس الشيوخ وعبر المجتمعات الشعبية، لذا فإن الحياة السياسية عند اليونان والرومان قد شجعت على إزدهار الخطابة السياسية التي كانت أفضل وسيلة للاتصال بالشعب، لأن الشعب يؤثر فيه الكلام المسموع أكثر من غيره من الكلام[١٣].

وللبلاغة دور مهم في الاقناع والتأثير، حيث أن الكلمة البليغة لها تأثيرها ودورها الخطير في حياة البشر، و تسحر العقول ، فكم من ملايين البشر أنقذهم سحر الكلمات، وكم من الثورات قامت نتيجة الخطابة، وكانت وسيلة لنجاح المظاهرات والاحتجاجات، ومن جانب آخر كانت وسيلة أساسية للإجهاض على الثورات والاحتجاجات وإخمادها. تتراجع وتغيب الخطابة في ظلّ الانظمة الدكتاتورية، لذا فإن الخطابة السياسية ظهرت وبشدّة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لأن قوة السيف قبل هذا التاريخ هي المسيطرة على قوة الكلمة مما كان يسبب في غياب الخطابة السياسية.

الخطب البرلمانية

تطورت أنظمة الحكم، فأدت الى قيام المجالس النيابية (البرلمانية) أو مجالس الشورى لدى البعض ومجلس الأمة لدى الآخرين أو تسميات أخرى في بعض البلدان، يتألف البرلمان من عدد من الشخصيات السياسية ذوي الإختصاصات

(٩) الخطابة السياسية في العصر الحديث، د.عماد عبداللطيف/٩.

(١٠) الخطاب السياسي وأثره في تحريك الشعوب، أمجد أبو العلا، يقظة الفكر،٢٠١٠، www.feker.net/ar/

(١١) فن الخطابة، د. أحمد محمد الحوفي، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١/٦٤.

(١٢) الخطابة وأعداد الخطيب، د. عبد الجليل عبد شلبي، دار مصر العربية للنشر والتوزيع، د.ت/١٠٧.

(١٣)م، ن /٦٥.

المؤثرة في إدارة البلاد، ينتخب هذه الشخصيات من قبل جميع أفراد وطبقات المجتمع خلال إختيار نائب أو نواب لكل مدينة أو حزب او قبيلة بطريقة الإنتخابات. يقوم النواب بوضع الأنظمة والقوانين ورسم السياسة العامة للدولة بما يتناسب مع مصالح الشعب والبلد، فيحصل في قاعات البرلمان جلسات بحسب الأدوار والوظائف، يقوم النائب بإلقاء خطبة حول المشروع الذي يعرض ويناقش، يبين الجوانب الحسنة والسيئة فيها، بذا أصبحت هذه المجالس والبرلمانات ميداناً رحباً لإظهار مقدرة الخطباء. و تعد الخطب البرلمانية من أهم الخطب السياسية، حيث ان البرلماني من حقه و من وظيفته أن يقترح على الحكومة و ان يشرع لها، و أن ينقدها او يؤيدها، كون البرلماني يتمتع بحصانة برلمانية تتيح له الحرية في القول والعمل، ويمكن له بموجب حصانته البرلمانية أن يتابع مدي تنفيذ الجهات التنفيذية للقرارات التي يصدرها البرلمان وكذلك هناك خطب الدعايات الإنتخابية أيضاً والتي هي فرع من الخطب السياسية، يوضح المرشح للإنتخابات البرلمانية جوانب السياسة التي يريد نهجها ويفند سياسة المعارضين له.

الخطب البرلمانية، قد يكتبها شخص ما أو النائب نفسه، لأن النواب في البرلمان لديهم مستشارون يستشيرهم النائب عن قضايا كثيرة لشؤون البلاد والمجتمع، فالخطبة ربما يكتبها المستشار ويقرأها النائب في البرلمان، إذن الخطبة قد تكون جاهزة مسبقاً أو قد تكون غير جاهزة، أو قد يتعرض البرلماني (النائب) الى أسئلة ورد بعد إلقاء خطبته، عندها يضطر الى القاء كلامه استرسالا، وأن الجمهور الذي يلقى عليه الخطبة هم نواب البرلمان، لذا يجب أن تكون الخطبة تراعى فيها مستواهم وهم نواب وممثلون للشعب وفي مستوى عالٍ من النضج والثقافة.

تختلف خطب البرلمان بعض الإختلاف عن الخطب الأخرى التي تلقى على جمهور متنوع المشارب والطبقات والمعتقدات، فالعراق مثلا متعدد الأقوام والأديان والمذاهب والميول والأحزاب، لذا يجب أن يراعى النواب فيها عند إلقاء الخطبة كل هذه الأمور والإتجاهات، فالممثل النائب عن المحافظين والإقطاع يؤيد الإستعمار البريطاني وكذلك الشيوعي أو اليساري يؤيد العمال والفقراء. وهناك من يدافع عن الاقليات العرقية والدينية والمذاهب، لذا أي إقتراح يتخذ من قبل النواب يجب أن يراعى فيها هذا التنوع، ويحاول النائب إقناع الأعضاء وكسبهم للموافقة والتصويت لصالحه، حيث أن المشاريع المقدمة يجب ان يراعى فيها حقوق الاقليات والأديان والمذاهب، وإلا لم تلق إستجابة لدى الجميع أو حتى الأكثرية (١٠٥٠). فقد شهد برلمان فرنسا و إنجلترا كثيراً من النواب الذين خلدتهم التاريخ، أمثال كازيمير بريبا و بنيامين كونستانت و لامارتين الشاعر والبرلماني المشهور، وفي الوطن العربي عبدالله النديم وانور السادات ومحمدحسني مبارك، واحمد عرابي، ومصطفي كامل، وسعد زغلول وآخرون [١٤].

الرصافي خطيباً وبرلمانياً

ومن البرلمانيين العرب الرصافي(١٨٧٥ــ ١٩٤٥) الشاعر والأديب العراقي المشهور الذي عرف كشاعر ومصلح إجتماعي، يدافع عن الشعب العراقي من خلال محاربة الفقر والمرض والأميّة. وقد قام بجمع خطبه البرلمانية الاستاذ مصطفى على[١٥]، يتضمن الكتاب الخطب التي ألقاها الرصافي بين سنوات ١٩٣٠-١٩٣٩.

([١٤]) الخطب والمواعظ، محمد عبدالغني حسن، ط٤، دار المعارف، القاهرة (د.ت)/ ٩١.

([١٥]) مصطفى علي، صديق و زميل للرصافي و راويته الأمين ومؤرخه الثبت، تتبع السجلات و مظانها الرسمية لمحاضر مجلس النواب العراقي و مجلة الوقائع العراقية، وقد نسخها بخطه الأنيق الرشيق، فبلغت ١٤٥صفحة و هي –ولاشك- أنها تمثل جانباً مهماً من أدب الرصافي السياسي وجرأته في المجلس المذكور (الرصافي خطيباً/٦).

استقال الرصافي من التدريس وتوجه نحو ميدان السياسة، رشح نفسه لعضوية المجلس النيابي، فانتخب لعدة دورات منها :

ــ العضوية الأولى، انتخب في الدورة الإنتخابية الثالثة نائباً عن لواء العمارة خلال سنوات (١٩٣٠/١١/١ لغاية ١٩٣٣/١١/٥).

ـــ العضوية الثانية أنتخب في الدورة الإنتخابية السادسة نائباً عن لواء الدليم (الأنبار)، خلال سنوات(١٩٣٥/٨/٨لغاية١٩٣٦/١٠/٢٩.

ـ العضوية الثالثة كان نائباً عن لواء الدليم من ١٩٣٧/٢/٢٧ لغاية ١٩٣٧/٨/٢٦.

ـ العضوية الرابعة، كان أيضاً نائباً عن لواء الدليم (الأنبار)، بين سنوات ١٩٣٧/١٢/٢٣ لغاية ١٩٣٨/٥/٦، وبذلك إنتهى آخر عهده بالنيابة[١٦]. هذا وقد كان الرصافي نائباً في مجلس (المبعوثان) العثماني لمدة دورتين مما أدى الى إكتساب خبرة و مران، وكان للدورتين الأثر الكبير في نجاحه داخل المجلس النيابي العراقي، فضلاً على الى إكتسابه خبرة واسعة من زملائه النواب في الدولة العثمانية ومن شتى أقطارها، الا ان خطبه في مجلس المبعوثان العثماني لم تصل إلينا، ولا شك أنه قد خطب هناك أيضاً واقترح[١٧]. يدعو الرصافي الى أعضاء المجلس النيابي:"بأننا يجب أن نلتزم فيها السكينة وأن نتكلم بترو و هدوء، وأن يحترم بعضنا بعضاً وإن كنا بالرأي مختلفين ما دمنا نهدف الى غاية واحدة هي سعادة البلاد واذا إختلفنا في الرأي فهذا ناشئ من وجهة النظر والإجتهاد"[١٨]. ونتيجة للخبرة التي إكتسبها، والثقافة التي يتمتع بها - وهو شاعر إصلاح – فكان خير ممثل و نائب للشعب العراقي و خير مدافع عن حقوقه، ويظهر ذلك عند إتخاذه مواقف جريئة بوجه الاستعمار والانتداب البريطاني.

المبحث الأول

البناء الخارجي لخطب الرصافي:ــ يجب أن تقوم كل فكرة من الافكار على عدد من القضايا، ولابدّ من تنسيق لهذه القضايا، وعرضها بطريقة متسلسلة لتكون واضحة لدى السامعين ومقنعة لهم، لم يوفق الخطيب في ذلك الا عند وضوح الفكرة وإيمانه بها واحاطته لها ويهدف الى تقديمها بسهولة ويسر بشكل دقيق ومتناسق ومترابط للافكار. ليس من المهم أن يتحدث الخطيب ساعة بطلاقة وثبات، بل الاهم هو تقديمه للخطبة بشكل واضح ومترابط ومتسلسل، يقول ابن سينا:"وللأقاويل الخطابية صدر وإقتصاص وخاتمة"[١٩]. وهذا الترابط والتنسيق يتمثل في البناء الخارجي والبناء الداخلي للخطبة. أما البناء الخارجي فيتكون من:

أولاً:ـ المقدمة: وهي "ابتداء الخطاب، ويناظرها المطلع في الدراما الشعري، كما يقابلها الافتتاحية في قطعة معزوفة على الناي. وعلى هذا فهناك شتى أنواع الابتداءات، كالحال في مدخل الدرب الذي نسير فيه"[٢٠]. أو هي اطلالة واستهلال يشرف بها الخطيب على مستمعيه، فهي"ما يوضع أمام الكلام ــ ومقدمة له، ليكون بمنزلة الاشارة والايذان بالغرض المقصود للخطيب، والفائدة منه إعداد المستمعين وتهيئتهم الى التوجه نحو الغرض"[٢١].

---

(١٦) الرصافي خطيباً. مجموع خطبه في مجلس النواب ١٩٣٠-١٩٣٩/٥-٦.

(١٧) م، ن / ٦.

(١٨) م، ن/٧.

(١٩) الشفاء، قسم الخطابة، ابن سينا، طا، القاهرة، ١٩٦٨/٣٣٦.

(٢٠) الخطابة، أرسطو، ترجمة: عبدالقادر قنيني. أفريقيا الشرق ــ المغرب، ٢٠٠٨/٢٢٤.

(٢١) المنطق، محمد رضا المظفر، ج٣، مدينة قم، (د.ت)/٣٦٩.

وهي"إشتمال الكلام في المقدمة على إشارة الى ماسيق الكلام له"[٢٢]. في المقدمة، يقدم الخطيب عبارات لطيفة يفتتح بها كلامه ليهئ السامعين للإقناع بما سيعرضه. نجاح الخطيب في المقدمة هو نجاحه في تحقيق الهدف من الخطبة، يجب ان تتماشى المقدمة مع إلتئام أذواق المخاطبين. وعلى الخطيب الإختصار جهد الإمكان، من الضروري أن تبدأ المقدمة بعبارات بليغة و قوية لتلفت الأنظار و تشدّ الإنتباه والإصغاء، لأنها أول ما تظهر من الخطبة وتمهد للموضوع و تهيئ الجمهور لسماع قول الخطيب ولشد إنتباههم.

يجب أن تتضمن المقدمة الجملة الرئيسية أو الموضوع الرئيس الذي تدور حوله الخطبة، اي ان المقدمة يجب ان تفصح عن الموضوع و عن هدف الخطبة، ويجب ان تكون بداية مشوقة و ان تكون عباراتها قصيرة ذات إيقاع لتفادي الملل لدى المستمعين.

قد يقدم الخطيب خطبته بآية قرآنية أو بحديث شريف أو بحكمة مأثورة لتحريك المشاعر والتأثير في نفوس الجمهور وإستمالة قلوبهم أو للدخول الى موضوعه تدريجياً، او يبدأ خطبته بقصة قصيرة للدخول الى موضوعه او يذكر المناسبة التي أعدّ من أجلها الخطبة.

ثانياً: العرض:- وهو ما يقدمه الخطيب من مادة يبنى عليها حديثه والأفكار التي يعالجها في خطبته خلال طرح الدعاوى والأدلة بغية إقناع الجمهور وهو الجزء الرئيس في الخطابة، لذا فإن نجح الخطيب فيه فقد حقق هدفه، اما إذا فشل، فقد أخفق ولم يصب هدفه[٢٣]. على الخطيب أن يقسم أفكاره التي يريد عرضها عرضاً شاملاً و سليماً للمواد التي سوف يعرضها، وأن يعرضها بشكل سهل وواضح بحيث يسهل على السامع تصورها و ضبطها، فيعرض خطبته بأسلوب أدبي، مستعملاً عبارات أدبية جميلة و الإبتعاد قدر الإمكان عن الأسلوب العلمي الجاف. يجب أن تكون الأفكار التي يطرحها الخطيب مترابطة مع بعضها لأجل تسهيل إنتقال السامع من فكرة الى فكرة اخرى الى ان يصل الى الغاية المنشودة. ولكون الخطبة فن الإقناع والتأثير، فإن الإقناع يقتضي الوضوح وقوة الدليل والبرهان، وحسن الأداء البلاغي تقريرا و مباشرة، اما التأثير فيقتضي جمال الصوت نبرة وتوازناً وايقاعاً عبر اللفظ، والعبارة والاسلوب من جهة أخرى و جمال الحركة إلقاءاً وإشارةً و هيئةً وملامح من جهة اخرى[٢٤].

ففي العرض الذي هو صلب الخطبة، يجب ان يتوفر فيها الوحدة الموضوعية، أي تشتمل على موضوع واحد، لكي تكون سهلة الإستيعاب، وكذلك يجب أن تشتمل على الجدة والجديد، غير المكرر قدر الإمكان، والجدة في منهج المعالجة وتقديم الفكرة.

أما فيما يتعلّق بالمادة التي تعرض في الخطبة، فتعرض خلال اللفظ و المعنى، في اللفظ يجب ان تكون ألفاظ الخطيب واضحة وسهلة، بحيث يتمكن السامع من فهمه دون اللجوء الى تأمل كثير، وعدم إستعمال الكلمات الغريبة البعيدة عن أذهان السامعين. وتتضمن الخطبة الأسجاع والتضادات والمقتبسات، والتكرار الضروري، لأن للمسائل هذه تأثير كبير في عقول الناس. أما المادة (الخطبة) التي تعرض من حيث المعنى الذي يتمكن الخطيب من التعبير عن المعاني التي تجول في صدره و بأفضل الطرق والإستشهاد بأقوال ثابتة مسلمة عند المستمع او الإتيان بالإستشهاد في الشعر او بقصة كشاهد على قوله، فالسامع يستلذ لسماع القصص بسهولة، كل ذلك يؤدي بالسامع الى الإقتناع بمضمون

([٢٢]) شرح مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، دار الفكر، ط١، مدينة قم/١٤١١هـ/٣١٥.

([٢٣]) فن الخطابة، الشيخ إبراهيم البدوي/١٩١.

([٢٤]) صدمة الحداثة، أدونيس، دار الفكر للطبع والنشر، ط٥، بيروت، ١٩٨٠/ ٣٠١.

الخطبة ويأخذون منها عبرة وموعظة[٢٥]. وحين يكون الجمهور من غير المسلمين يستحسن الاستشهاد بكلام الحكماء والعارفين والفلاسفة والمفكرين، وللجمهور المسلم الاستشهاد بكلام الله والرسول والمعصومين فضلاً أقوال الحكماء والفلاسفة والعارفين.

ثالثاً، الخاتمة:- تتألف الخاتمة لدى ارسطو من أربعة عناصر"يقوم إحدها في ان تضع المستمع على هيئة جيدة، وتثبت صحة ما تقول حتى يميل اليك، كما تجعله على حال رديئة بالنسبة الى خصمك. و ثانيها، أن تفخم الشئ المتكلم فيه وتكبره أو تصغره، وثالثها أن تثير الانفعالات النفسانية عند المستمع، ورابعها أن تقوم بتلخيص جامع"[٢٦]. الخاتمة هي أكثر النقاط إستراتيجية في الخطبة، فما يقوله الإنسان في النهاية يبقى يرن في آذان المستمعين، وهو الكلمات التي تبقى عالقة في اذهانهم[٢٧]. الخاتمة تتضمن إختصاراً لمجمل ما جاء في العرض، مصوغة بشكل محكم ومختصر، بحيث يبقى ملخص الخطبة عالقة في اذهان السامعين لمدة طويلة، وتكون استخلاصا لنتائج الموضوع[٢٨]. والخاتمة هي الفرصة الأخيرة لدى الخطيب لشد إنتباه الجمهور وعواطفه بغية استمالته وإقناعه، فكثيراً من الخطب تأخذ عنوانها وشهرتها واسماها من عبارتها الأخيرة[٢٩].

كون الخاتمة آخر فقرة في الخطبة، فقد تقتضي أن تكون في منتهى الدقة والوضوح والقوة والتأثير وحسن الأداء وجمال التعبير وتكون مختصرة جداً، فيشترط في الخاتمة أن تكون موجزة. تتلخص فيها أفكار الموضوع لشد الإنتباه، حيث أن إنتباه السامع يتركز في المقدمة والخاتمة بذلك تجنبه الشرود الذهني وضعف التركيز أثناء عرض الخطبة التي تحتل أكثر اوقات الخطبة، لذلك ذكر إجمال مجموع الافكار في الخاتمة يؤدي الى تدارك السامع ما فاته من افكار رئيسة اثناء الخطبة، وكذلك من شروط الخاتمة ايضاً، أن يختتم الخطيب كلامه بتأكيد الفكرة الرئيسة التي ذكرت في الخطبة ويؤكد لجمهوره ضرورة الالتزام بما بحثه في خطبته والعمل على تطبيقه، ويختتم كلامه بنص قرآني او حديث شريف او كلام مأثور او قول احد الحكماء او الفلاسفة.

ففي خطبة للرصافي ألقاها في الجلسة التاسعة المنعقدة صباح يوم الاربعاء، ١٩٣٥/٩/٤، يقول:"أن القاعدة السياسية التي وضعها ساسة العرب لإدارة البلاد من القديم هي أيها السادة(شدّة من غير عنف ولين من غير ضعف) ولاشك ان العفو العام داخل في سياسة اللين"[٣٠].

ففي المقدمة، إفتتح الرصافي بعض خطبه بـ (النداء – أيها السادة) القريب بدليل حذف (يا) النداء، كونه عضو معهم في المجلس وفرد منهم وهم زملاء، ومن ثم جاء بحكمة مأثورة بليغة، سامية المعنى وقوية الإلقاء (شدة من غير عنف و لين من غير ضعف)، وذلك بغية تهيئتهم و شدّ انتباههم، والسيطرة على مشاعرهم والإصغاء اليه، فالكلام هذا يتضمن تضاداً تقابلياً بين (شدة من غير عنف) و (لين من غير ضعف)، به ضمن شدّ إنتباه السامع وهيئته لإستقبال ما سوف يذكره، وهذا الكلام البليغ أعطى الخطيب الثقة الزائدة بالنفس، وأحدث أثره في تدعيم

([٢٥]) فن الخطابة، الشيخ ابراهيم البدوي/ ٢٢٩.

([٢٦]) الخطابة، ارسطو، ترجمة: عبدالقادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٨/٢٤٤.

([٢٧]) فن الخطابة، دايل كارنجي، ترجمة: د.رمزي الحسامي، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٤/١٠٤.

([٢٨]) فن الخطابة، الشيخ ابراهيم البدوي/ ١٩٢.

([٢٩]) الخطابة فن التأثير والاقناع، الشيخ محمد عطا اسماعيل/ ٢٧٣.

([٣٠]) الرصافي خطيبا، مجموعة خطبه في مجلس النواب١٩٣٠ ــ ١٩٣٩،جمعها مصطفى علي، ط١، دار المدى للاعلام والثقافة والفنون، بغداد،٢٠١٤/١٠٤.

موقفه وغرس الثقة فيه، مما جعله يتابع عرض موضوعه بثقة وثبات كبيرين، لأن التضاد التقابلي يضفي مسحة جمالية على الكلام ويؤدي الى إرضاء السامع له.

كلامه (شدة من غير عنف ولين من غير ضعف) يتضمن كذلك سجعاً في نهاية الفواصل (ضعف – عنف) الذي أضفى على المقدمة مسحة جمالية و موسيقى داخلية، مما زاد في شدّ انتباه السامعين وتهيئتهم لإستقبال ما سيقال لاحقاً، وإقناعهم بما سيطرح و ليستميل قلوبهم، لذا فإن المقدمة هذه، تعرض فكرة مقبولة لدى الجميع، ولا ينفر منها السامع ويتم قبوله مسبقاً، ولا يملهم حيث أن المقدمة جاءت قصيرة وواضحة ومفهومة، بحيث لا يضجر ولا يمل منها السامع، ولا تصرف عنه الآذان. بدأ يحرك الخطيب بهذه المقدمة العواطف ويوجهها نحو ما سيهدف إليه من الإبلاغ والتوجيه.

بعد ان تمكن الخطيب من جلب انتباه المستمعين عن طريق مقدمة مشوقة، بدأ ينتقل الى عرض فكرته التي هي الاشادة والترحيب بالعفو العام وسياسة اللين، ولكن بشرط ان يكون هذا القرار من غير ضعف، فيقول:"كلنا نرحب بالعفو العام ونرحب بسياسة اللين ولكن على شرط أن تكون من غير ضعف ومهما يكن فإن قضية العفو العام ليست من القضايا الجوهرية التي تستوجب طول المناقشة أو إمعان النظر وإنما هناك قضية جوهرية أهم من هذه القضية بكثير وهي الاسباب التي أدت الى الحوادث التي حدثت أخيرا في جنوب الفرات"[٣١].

يقوم عرض الفكرة لدى الرصافي على أن يعلم الجميع من أن إصدار العفو وسياسة اللين، هي لأجل إنهاء المشاكل والفتن والنعرات الطائفية، حيث أن حادثة عصيانية حدثت في سوق الشيوخ بتاريخ١٩٣٥/٣/٩، وثم السيطرة على ناحية(عكيكة)من قبل عشيرة(بني خيكان)، وسيطرتهم على مخفر الشرطة[٣٢]. وبعد ان أعادت الحكومة السيطرة على المنطقة، أصدرت أحكاماً بالإعدام على عدد من المتهمين، وتم إعدام تسعة أشخاص منهم ومن ثم أصدرت الحكومة عفواً بحق الآخرين. ففي نظر الرصافي أن هذه الحادثة تشم فيها رائحة النعرة الطائفية، يحتاج الى معالجتها و إقتلاعها من جذورها. لذا يأتي بعبارات وتراكيب متتالية بشكل منطقي ويؤيدها بآرائه وأفكاره لكي يقنع المستمعين من النواب في البرلمان العراقي آنذاك، فيقول:"نحن أيها السادة مرضى والمريض يجب ان يصف كل ما به للطبيب، وألا يكتم مرضه عنه وإلا كانت العاقبة وخيمة وعظيمة"[٣٣].

يلح الخطيب على أن يعالج الحادثة المؤلمة (النعرة المنحوسة) معالجة جذرية، فيستخدم الإستعارة لكي يظهر لهم مدى خطورة الوضع، وشدّ إنتباههم الى مدى خطورتها، فيقول:"تلك النعرة المنحوسة التي كشرت عن أنيابها وبرزت بوجه يستوجب كل انين ويدعو الى كل أسف وإشمئزاز"[٣٤]. شبه الخطيب حادثة العصيان هذه بنعرة الأسد (الحيوان المفترس) الذي يكشر عن انيابه، مما يدل على خطورة الحادثة وعدم حلها واقتلاعها من جذورها عن طريق إصدار عفو عام على مرتكبي الجريمة، لذا على مجلس النواب ان يناقش هذا الموضوع بجدية وإيجاد حل جذري لإنهاء المشكلة الى الأبد، وليس حلاً وقتياً، فقوله (نحن مرضى والمريض يجب ان يصف كل ما به للطبيب)، وهكذا يجب على المجلس ان يناقش كل ملابسات الحادثة ووضع حل لها، ولا يكتفي بإصدار عفو عام مما قد يؤدي الى تكرارها مرات أخرى.

([٣١]) الرصافي خطيبا/١٠٤.

([٣٢]) م، ن/١٠٤.

([٣٣])م، ن/١٠٤.

([٣٤]) م، ن/١٠٤.

يأتي الرصافي بالأدلة على صحة قوله، حين قال(نحن مرضى....) وكذلك يستدل على مدى خطورة هذه الحادثة (النعرة الطائفية)، بقوله:"أيها السادة لو أن هذه النعرة ظهرت في عوام الأهلين فقط لكان الخطب هيناً ولكن ظهرت من رجال التربية والتعليم وتسربت بين صفوف المدارس وهي البودقة الوحيدة التي تسبك لنا الناشئة الجديدة"[٣٥]. يرى الرصافي خطورة الوضع كونها صدرت من رجال التربية والتعليم، المصدر الرئيس لصنع رجال المستقبل وأمل الأمة، كذلك عاد الخطيب أيضاً الى إستعمال فن بلاغي الا وهو التشبيه، شبه الخطيب المدارس التي تصنع رجال المستقبل، بالبودقة التي تسبك فيها الذهب، ويشبه الأجيال القادمة بالذهب. يدعم الخطيب فكرته بالأدلة لتثبيت رأيه في ذهن السامعين وإقناعهم حين قال (نحن مرضى..... ولكن ظهرت من الرجال التربية والتعليم وتسربت بين صفوف المدارس وهي البودقة الوحيدة التي تسبك لنا الناشئة الجديدة). تمكن الخطيب من التعبير عن فكرته والمعاني التي يريدها بشكل منطقي من خلال عدم الإطالة في الكلام لأن الإطالة تؤدي الى الملل والسأم، ومن خلال الإتيان بالأمثلة الكافية لتثبيت رأيه وفكرته في ذهن السامع (نحن مرضى.... والمدارس التي تصنع ناشئة المستقبل)، فالفكرة الأساسية حافظت على بناء الخطبة الى حد كبير، الفقرات كانت متتالية تدعم بعضها بعضاً من خلال البدء بالاهم ثم المهم. يتوفر في عرضه للخطبة الوحدة الموضوعية التي تشتمل على موضوع واحد وهو عدم الإعتماد على إصدار عفو عام عن المجرم قبل إقتلاع المشكلة من جذورها وحلها بالكامل، بإستخدام عوامل التأثير والحجة لإقناع الحاضرين من النواب. الفاظ الخطيب، واضحة سهلة و مفهومة، و يتمكن السامع من فهمه دون اللجوء الى تأمل طويل، يهتم بسبك الجمل والعبارات ليثير إنفعال السامع، ويعتمد الإختصار في الكلام و يتجنب التكرار قدر الإمكان لتفادي الملل والضجر عند السامع.

وفي الخاتمة التي هي تلخيص لما يجيء في الخطبة، وإيجاز شديد للآراء المطروحة، تنتهي الخطبة وتصل الى الخاتمة، حين يقول:"أنا لا أصدق ولا أعتقد بأن الحكومة تسطيع أن تعمل شيئاً الا إذا فصلت الدين عن الحكومة حتى لا تدع لأحد سبيلاً أن يكلفها بإسم الدين او المذهب تكليفاً مضرّاً هذا هو طريق الإصلاح والاّ فلا"[٣٦]، في هذا المقطع هناك نصح وإرشاد للحكومة من خلال النواب في البرلمان فينصحهم إذا ما ارادوا السيطرة الكاملة على النعرات الطائفية، فعليهم القيام بفصل الدين عن الحكومة وإلا لم تتمكن الحكومة من السيطرة على هذه المشاكل والنعرات المنحوسة هنا وهناك، فهنا الخيار في يد الحكومة والسلطات التنفيذية إما ان تقوم بفصل الدين عن السياسة أو تنتظر المزيد والمزيد من المشاكل والنعرات والحوادث المماثلة للحادثة التي وقعت أخيراً في جنوب الفرات. لا يمكن إقتلاع هذه الحوادث من جذورها خلال إصدار عفو عام عن القائمين بالثورة والفوضى. في هذه الخاتمة، لخص الخطيب فكرة خطبته والهدف منها القضاء على الفوضى والحوادث الطارئة والنعرات الطائفية بصورة نهائية، ويدعو الى معالجتها معالجة جذرية.

وفي خطبة أخرى يفند فيها الخطيب رأي المقابل (الخصم)، فيقول في المقدمة:"في الجلسة الماضية ردّ عليّ علي الإمام ونسب لي انني قلت أن الهاشمي سخيف. وعندما ردّ عليّ كنت مشغولاً عن السماع فلم أسمع رده وبما أني لم أقل هذا كما أن كلامه أدخل في محضر الجلسة فقد كان من حقي ومن واجبي أصححه"[٣٧].

([٣٥]) الرصافي خطيبا/١٠٥.

([٣٦]) م، ن / ١٠٥.

([٣٧])م، ن/٣٦.

تصميم الخطبة يتكون من (المقدمة – العرض – الخاتمة)، الفكرة الأساسية للخطبة هذه، هي الرد على أحد النواب الذي إتهم الرصافي ونسب إليه بأنه قال للهاشمي سخيف. يبدأ نمو الفكرة في المقدمة التي عادة تشتمل على جملة محورية، الجملة المحورية هي (رَدّ عليّ علي الإمام ونسب لي انني قلت أن الهاشمي سخيف). تمكن الخطيب بهذه الجملة المحورية أن يشد إنتباه الحضور لكلامه والإصغاء اليه، وإثارة إهتمامه للمسألة التي سيعرضها ويفند فيها رأي النائب علي الإمام. ثم تنمو الفكرة لديه فيعرضها أمام النواب بأسلوب سهل وواضح مقرون بالأدلة المناسبة والمنطقية لأجل إقناع الحضور. يستدل بقوله رداً على كلام علي الإمام فيقول:"إن كلمة سخيف التي وردت في عبارتي كانت صفة للمظهر وليست لياسين باشا الهاشمي، فقد قلت أن ياسين باشا الهاشمي صاحب العزيمة الماضية والحجة القوية كيف يظهر بهذا المظهر السخيف هذا ما يدعو الى الإستغراب"[٣٨]. ويستمر على الأدلة لإثبات قوله وتفنيد رأي الخصم، فيقول:"فإن من كان ذا حجة قوية وعزيمة ماضية لا يكون سخيفاً وكونه ذا حجة قوية وعزيمة ماضية هو الذي سبب إستغرابي من تقديمه الإستقالة"[٣٩]. تمكن الرصافي من إقناع النواب بهذه الحجة والإستدلال القوي، حين قال بأن صفة السخافة للمظهر وليس لشخص ياسين باشا الهاشمي الذي يتمتع بعزيمة ماضية وحجة قوية، فلا يمكن لشخص نجد فيه هذه الصفات أن يكون سخيفاً، ويستمر لإثبات كلامه وتبريئة موقفه، فيقول في خاتمة خطبته:"فأنا أجلّ يس باشا الهاشمي عن أن يكون سخيفاً كما إني أجلّه عن أن يظهر بهذا المظهر السخيف، أقول ذلك إظهاراً لمقصد كلامي لا تزلفاً لياسين باشا الهاشمي الذي أجلّه وأحترمه أكثر من علي الإمام ولو كان إمامين لا إماماً واحداً"[٤٠].

الخاتمة هذه هي تلخيص لما جاء في الخطبة وإختصار لكلامه وخطبته، حيث أن الخاتمة او الملخص والكلام الأخير تبقى ترن في ذاكرة المستمعين عالقة في أذهانهم. فتمكن الرصافي من إقناع الحضور بأنه لا يقصد بهذه الكلمة شخص الهاشمي، وإنما يقصد به صفة ظهر بها الهاشمي، فهو يجله ويحترمه، ولكن يخالفه الرأي حين قال بأن هذا المجلس لا يمثل الشعب[٤١]. وينهي خطبته بكلام مؤثر ومقنع مسخراً من النائب علي الإمام عند وصفه بإمامين لا بإمام واحد و يقصد به (الإمام علي بن أبي طالب) و(الإمام) الثاني الذي هو لقب لعلي الإمام، حين قال: .... أجلّه وأحترمه أكثر من علي الإمام ولو كان إمامين لا إماماً واحداً.

ويقول الرصافي في خطبة أخرى بأسلوب ساخر:"سمعت مرة من احد النواب في المجلس العثماني وهو يخطب أثناء المذاكرة في ميزانية المعارف يقول ما معناه ان وزارة المعارف هي وزارة الخبز والجبن وهذا الكلام وإن كان مضحكاً في الظاهر الا انه يتضمن حقيقةً من حقائق الحياة الاجتماعية" [٤٢]. تمكن بهذه المقدمة الساخرة من تهيئة الإصغاء وحسن الإقبال على كلامه، هذه المقدمة إطلالة يشرف بها الخطيب على مستمعيه وهي بمنزلة الإشارة والإيذان بالغرض المقصود الذي هو إهمال وزارة المعارف (التربية) لمهامها الاساسية على يد الإنتداب البريطاني الذي يحاول إهمال هذا القطاع المهم، لكي يبقى الشعب جاهلاً و غافلاً عما يجري في العراق. بقوله الساخر (وزارة الخبز والجبن)

(٣٨) الرصافي خطيباً /٢٦.

(٣٩) م.ن /٢٦.

(٤٠) م، ن /٢٧.

(٤١) م.ن /٢٦.

(٤٢) م.ن /٣٣.

تمكن من شدّ إنتباه الحاضرين. كيف يجوز لوزارة مهمة كوزارة المعارف أن تتحول من وزارة لنشر العلم والثقافة الى وزارة فقط لدفع الرواتب؟ دون ان يستفيد منها أبناء المجتمع العراقي.

ينتقل الى عرض افكاره و حججه الواقعية بشكل منطقي، فيتحدث بأسلوب خطابي و يقول:"سادتي! تعلمون إننا اذا فكرنا في مميزات المدنية الحاضرة..... نجد أن أعظم ميزة لهذه المدنية هي رفع الأمية وزوالها من الشعوب المتمدنة..... لا شك أننا نكون في مؤخرة كل الشعوب المتمدنة في هذا العصر لأن عدد المتعلمين فينا بل الذين يحسنون القراءة والكتابة فقط لا يبلغ عددهم واحداً في المئة"[٤٣].

تلتزم الخطبة هذه بشروط ونماذج بناء الخطبة من (المقدمة والعرض والخاتمة) ففي المقدمة يعرض الهدف من خطبته الذي هو (تخصيص ميزانية كبيرة لوزارة المعارف) وهدر هذه الميزانية دون الوصول الى الأهداف المرجوة من هذه الميزانية. ثم يدخل في عرض الخطبة بأسلوب واضح وسهل مما يساعد على فهم الموضوع من لدن الحاضرين عن طريق إيراد الأمثلة المدعومة بالأرقام وتكراره، فيأخذ الفكرة بالشرح والتفصيل والإتيان بالأمثلة والحجج لإقناع الحضور بالهدف المرجو، يقدم لنا الخطيب أرقاماً بالنسبة المئوية لبعض الدول ومقارنتها ببلده العراق، فيقول:" وإذا نظرنا الى الشعوب المتمدنة اليوم، وجدنا عدد المتعلمين في بعضها ١٠٠٪ مئة في المئة ولا يوجد شعب متمدن في هذا العصر يكون فيه عدد المتعلمين أقل من ٦٠٪ ستين في المئة، فبالنظر الى هذه الحقيقة إذا أردنا ان نجعل لنا موقعا بين الشعوب المتمدنة ولا شك أننا نريد ذلك فأين نجد هذا الموقع؟.... لا يبلغ عددهم ١٪ واحداً في المئة بالنسبة الى النفوس العمومية"[٤٤]. قارن الرصافي بين نسبة الأمية في البلدان المتحضرة وبين بلده العراق الذي لا تصل نسبة الذي يقرأ ويكتب الى ١٪ واحد في المئة، وهذه النسبة دليل على أن الأمية فاشية في البلاد، ولم تصيب الوزارة هدفها في محو الأمية، لذا يقول الرصافي ويفند رأي زميله:"لهذا لا أوافق الزميل المحترم الدكتور فائق شاكر في قوله: أن وزارة المعارف قامت بواجبها خير قيام"[٤٥]. والدليل لديه "إننا نجد الأمية ضاربة أطنابها في البلاد وكان يجب على وزارة المعارف أن تهتم بإزالتها قبل كل شيء و مسألة نشر التعليم الإبتدائي تحتاج الى إيجاد معلمين فكان من الواجب على وزارة المعارف ان تهتم بتخريج المعلمين"[٤٦].

ويستمر الخطيب في الإتيان بالأمثلة والحجج على إهمال الوزارة في تخريج المعلمين وتكثير عددهم، فيقول:"مع إننا نجد لوزارة المعارف داراً واحدةً للمعلمين في بغداد وكان يجب على الأقل أن يكون للوزارة مثل هذه في الموصل و مثلها في البصرة ومثلها في كل بلد سكانه متكاثفون في الأولوية"[٤٧]. وكذلك يأتي بمثال واقعي وعلمي للمعلم وعدم توفير الجو الملائم للتدريس والتعليم، يقول:" المعلم الواحد يدرس في الأسبوع ثلاثين ساعة، فالمعلم الذي يدرس ثلاثين ساعة في الأسبوع لا يرجى منه خير للمتعلمين. والمعلم الذي يدخل الى الصف فيجد فيه أكثر من ثلاثين تلميذاً لا يرجى خير من تعليمه.... وقد شاهدت بنفسي عندما كنت مفتشاً للتدريسات العربية في المعارف أكثر الصفوف التي كنت أدخل فيها أربعين أو خمسين والمعلمون كلهم منهكوا القوى"[٤٨]. وكذلك يستدل بأمثلة أخرى لإثبات

([٤٣]) الرصافي خطيبا/ ٣٣-٣٤.

([٤٤]) م، ن /٣٤.

([٤٥]) م.ن /٣٤.

([٤٦]) م، ن /٣٤.

([٤٧]) م، ن /٣٤.

([٤٨]) الرصافي خطيبا/٣٤.

كلامه والتي أدت الى هذا الإهمال الدائر في وزارة المعارف، فيشير الى وجود التخريب، و تدخل الحزب في العملية التربوية. ويستدل بمثال آخر لتدخل شخص أجنبي في هذه الوزارة، والذي يتقاضى راتباً كبيراً ولا وظيفة مهمة له، يقول ساخراً:" يوجد في المعارف رجل احمر الوجه أزرق العينين وإبتسامة صفراء، جمع هذا الرجل بين لين الأفاعي وسمومها، هذا الرجل هو العامل الوحيد الذي يلعب بمقدرات المعلمين...."[٤٩].

وفي الخاتمة يستوضح الرصافي عن عمل هذا الأجنبى و وظيفته مستسخرا منه، فهو يتقاضى راتباً قدره (١٨٠٠) ربية مع أجرة المنزل ومخصصات السفر وأجرة الزواج، فيقول في إنتقاده الشديد لهذا الأجنبي المدعوم من قبل الوزارة مستسخراً:" فهو يأخذ ١٨٠٠ ربية لأنه متزوج فهل هذا عمل مبرور؟ وهل لأمة فقيرة كالأمة العراقية وهي تشكو وتئن تحت أعباء الأزمة الإقتصادية الموجودة أن تصرف ثلاثين الف ربية في السنة على رجل لأجل أن ينظر في تقارير المفتشين"[٥٠]. والخاتمة هذه خلاصة و إختصار للانتقاد الشديد الذي يوجهه الرصافي الى هذه الوزارة.

وفي خطبة أخرى يدافع فيها الرصافي عن حقوق الطبع والنشر ويرفض وضع العراقيل والقيود أمامها. في مقدمة طويلة يقول الرصافي:"من المقرر ان المعاني المطلقة غير موجودة في هذا العالم، فمعاني الحق والباطل والعدل والظلم كلها غير موجودة في هذا العالم بصورة مطلقة وإنما هذه الامور هي نسبية ولكن يوجد معنى واحد من هذه المعاني بصورة مطلقة وهو حرية الفكر..."[٥١]. المقدمة هذه، يقصد من ورائها تهيئة ذهن المستعمين بموضوع الخطبة، وإعطائه فكرة عامة عنه، وإن مقدمته تحمل إثارة إهتمام المستمعين كي ينجذب اليها ويشعر بضرورتها، والتي هي (معاني الحق والباطل والعدل والظلم كلها غير موجودة في هذا العالم بصورة مطلقة.. ولكن يوجد معنى واحد من هذه المعاني بصورة مطلقة وهي حرية الفكر)، فحرية الفكر من المعلومات المسلمة بها لدى الجميع فكل إنسان يسطيع أن يفكر كما يشاء ويريد دون مانع من أحد. المقدمة هذه تلخص لنا جوهر المسألة التي هي حرية الفكر ومحاولة الإستعمار (الإنجليز) للحد منها وقيدها بقيود، ثم ينتقل الرصافي الى عرض الموضوع والإتيان بالأدلة المنطقية "الحرية الفكرية التي منحها الله البشر هي مصدر علوم البشر وما وصل اليه من العلوم.... إن هذه الخصلة الحميدة الموجودة في البشر وهي حرية الفكر التي يسطيع بها الإنسان أن يفكر كما يشاء لا تظهر فائدتها ولا تقطف ثمرتها الا بطريقتين: أحدهما الكلام والثانية النشر ولكن حرية الكلام والنشر من الممكن أن يتعلق بها حق الغير لهذا كانت حرية الفكر مطلقة وحرية كلام والنشر أي حرية إظهار الفكر يجوز أن تقيد من هذه الوجهه لأنه يمكن ان يتعلق بها حق الغير ولما كانت حرية الكلام والنشر يجب تقييدها من هذه الوجهه فقط إختلفت الأمم بإختلاف العصور في كيفية تقييدها فكلما كان مستوى الأمة العلمي والإجتماعي راقياً كانت القيود خفيفة والعكس بالعكس"[٥٢].

يستعرض الرصافي كلاماً منطقياً حين قال: ولكن حرية الكلام والنشر من الممكن أن يتعلق بها حق الغير ولما كانت حرية الكلام والنشر يجب تقييدها...، فهنا يعطي الحق للحكومة أن تقوم بفرض بعض الشروط على حرية النشر والكلام، إلا أن قانون المطبوعات، جاء مقيداً لحرية النشر بقيود لا ينكر، وقد تجاوز حدوده بحيث أصبح يعرقل سبيل حرية النشر عمداً لمصلحة الإستعمار والإنتداب البريطاني. يستمر الخطيب فيذكر لا معقولية هذه العراقيل،

([٤٩]) م، ن /٣٥.

([٥٠]) م، ن /٣٥.

([٥١]) م، ن / ٤٨.

([٥٢]) م، ن / ٤٨.

منها تعليق نشر المطبوع على إجازة من وزير الداخلة وقضية التأمينات وبحسب رأيه لا يستطيع أن يتفهم هذا الشيء. يستدل لكلامه على قضية التأمينات التي وضعت على حرية النشر، يقول:"بهذه ايضاً لم استطع أن أفهم لها معنى فرجل أراد نشر جريدة تقول له الحكومة اعطنا تأمينات بمبلغ كذا من الدراهم فهذه التأمينات لأي شيء؟"[٥٣]، ويستمر وهو يوضح كلامه للمستمعين:"فإذا كان الأمر كذلك يجب أن نقول لكل أحد أعط تأمينات في ما لو حكمت عليك المحكمة بغرامة فهذا لا معنى له لأن المحكمة إذا حكمت على رجل بغرامة تأخذها منه وإذا عجز عن دفع الغرامة فيحبس بدلاً عنها إذن فإني أرى أن القصد الأصلى من وضع التأمينات ما هو إلا شيء واحد وهو وضع العراقيل في سبيل حرية النشر"[٥٤].

نلاحظ بأن الخطيب قد اسهب في الإتيان بالأمثلة والإستدلال على كلامه، ذلك يعود الى أهمية فكرته ومحاولة إثباتها في ذهن المستعين وإقناعهم فقد أسهب في تعابير متنوعة كلها تدور حول المفهوم والمعنى نفسه.

وفقرة الختام، كانت بمثابة دواء لداء، قام بتكثيف رأيه وتلخيصه كإستنتاج ليبقى عالقا في ذهن السامع، يتأكد فكرته خلال هذه الخاتمة لكي تكون فكرته واضحة لديهم وليلتزموا بها، من خلال تضمين بيت شعرى للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

ورب جوهر علم ابوح به لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا[٥٥]

وبهذا البيت الشعري ترك الباب مفتوحاً للأجيال القادمة كي يقرر ما هو الأصح والمطلوب.

المبحث الثاني

البناء الداخلي:ـ على الخطيب ان يعيش محاور خطبته بكاملها ويجيدها في نفسه حتى تتبلور في ذهنه رؤية واضحة، في إطار فني محدد، ويتم ذلك بالاعتماد على الانفعال والتفكير. حيث ان هناك أهمية كبيرة للانفعال والعاطفة فيها، فالخطبة وان كانت تغلب عليها الفكرة، الا انها لاتخلو من العاطفة الجياشة والشعور القوي، وإلا تأتي الخطبة فاترة باردة وغير مؤثرة، وتأتي الى جانب العاطفة دور الفكر، فانه يمنح الخطبة طاقة معنوية ومحتوى فكرياً. ومهما بلغ الخطيب من العلم وغزارته، فهو يحتاج الى مراجعة نفسه بين الحين والآخر، يهيء نفسه لما سيقول، ويفكر طويلا فيما يعتزم تقديمه لجمهوره، ويهيء الالفاظ والعبارات المناسبة، لكي يبقى أدائه قويا و لكي لايضعف موقفه، ولايتناقص عطاؤه، فيفقد جمهوره وتأثيره عليهم، اذن على الخطيب ان يهتم ببناء خطبته التي تحتاج الى أسسٍ ثلاث"قلب مفكر، وبيان مصور، ولسان معبر"[٥٦]، فالاول نقصد به إبتكاره للفكرة وإيجاده وتوكيده، وبالثاني تنسيقه وترتيبه ورصه، والثالث عرضه من خلال التعبير، نتطرق من خلال البناء الداخلي للخطبة الى(اللغة والفكرة والاسلوب).

أولا:ـ اللغة: للغة دور رئيس في نمو الخطابة وازدهارها، لأن المنجز الحضاري للأمم هو منجز لغوي، يرتكز على موروث هذه الامة وما يقدمه أدباؤها. واللغة هي"أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضه"[٥٧]، وبما أن الخطابة فن نثري غايته الاقناع ، يؤدي وظيفة لغوية، لها مميزاتها، الطبيعة الصوتية والوظيفة الاجتماعية في التعبيرعن نقل

([٥٣])الرصافي خطيباً/٤٩.

([٥٤]) م.ن /٤٩.

([٥٥]) م.ن /٥٠. البيت الشعري منسوب الى سيدنا زين العابدين، منتديات روض الرياحين،www.rayaheen.net

([٥٦]) أدب الدين والدنيا، ابو الحسن علي الماوردي، ج١، المكتبة العالمية، القاهرة،(د. ت)/١.

([٥٧]) الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار،ج١، دار الكتب المصرية، ١٣٧١ه/٦١.

الفكرة، فمن خلال هذه السمات تؤدي اللغة دورها ووظيفتها الاجتماعية، حيث ان الخطابة تحتاج الى اللغة كوسيط لنقل الافكار، واللغة تحتاج الى المثير الذهني الذي ينظم عملية القول وهو المضمون الفكري الذي تتمحور حوله الخطبة[٥٨].

يمكن ان تستخدم اللغة الاسلوب ومعاني الالفاظ كوسيلة للتلاعب بالمعاني لتظهر المستحيل ممكنا والممكن مستحيلا[٥٩]، والكلمة أساس التعبير عن المعنى حيث ان كلام البشر بجميع تراكيبه ماهو إلا مجموعة الفاظ، وللألفاظ مرادفات، والمرادف لا يتطابق مع الكلمة المرادفة لها في المعنى وإنما تحوي زيادةً على المعنى الذي تشترك فيه مع غيرها. على الخطيب ان يختار الألفاظ المناسبة للمعنى لكي يزيد في جمال الكلام وحسن البيان، وأن يبتعد عن الكلمات الغريبة، ويأتي بكلمات وألفاظ واضحة ومأنوسة، ويجب ان يراعي الخطيب في اللغة سهولة المفردات وعدم التكرار إلا للضرورة وتوضح المعنى وترسيخه وعدم إستعمال الجمل الطويلة إذا كان بإمكانه إستخدام الجمل القصيرة، وكذلك يجب ان تمتاز هذه الجمل بالترابط والإحكام وعدم التفكك[٦٠].

أما الجرس الموسيقي فله أهمية كبيرة في الألفاظ، لأن لكل حرف موسيقى خاصة ونغمة معينة بحيث تزيد في التعبير عن المعنى العام لتلك اللفظة. ولكي تأتي الخطبة قوية وبالغة التأثير يجب أن يأتي الخطيب بالجمل والعبارات حسنة السبك، جارية على سنن العربية، بعيدة عن التعقيد وتنافر الكلمات تنسجم مع جو الخطبة العام، مع وجود تناسب بين العبارات والجمل بحيث تنزل كل لفظة في مكانها المناسب ويأخذ بعضها بيد بعض في نظام محكم ودقيق، لذا مطلوب من الخطيب أن يهتم باللغة إهتماماً كبيراً، صرفاً ونحواً بلغة عربية فصيحة، لأن اللحن يفسد المعنى.

ثانياً: الفكرة:- لا يمكن تحديد الخطبة بنوع معين من الأفكار والمعلومات، يستطيع الخطيب أن يتحدث عن أي موضوع يهم الناس ويعنيهم، حيث أن مجال الخطبة يمكن أن يتوسع لكل لون من ألوان المعرفة التي هي ضرورية لأسماع الناس و إثارتها أمامهم. لابد للخطيب أن يقدم شيئاً جديداً في عالم الفكر والثقافة لأن السامع يلتذ لسماع ماهو جديد. والفكرة هي الموضوع الذي يراه الخطيب ضرورياً لعرضه على المستمعين بغية الإقناع والفائدة. وتعد الفكرة صلب الموضوع والفكرة الأساسية الذي يراه الخطيب ليقدمه للناس لدفعهم الإيمان بها[٦١]، ولابد من تقديمها بأسلوب مؤثر ومتسلسل وواضح لا غموض فيها مقرونة بفوائدها، محاسنها ومساويئها وبالأدلة المناسبة من العقل والعرف والتجارب والإستدلال من القرآن والأحاديث الشريفة ليجعل من الجمهور أن يقتنع بها ويستميلهم الى نفسه، بما أن الخطبة هي فن الإقناع والتأثير ويتوجه الى جمهور متفاوتة الثقافة والمستوى الحضاري، إلا انهم يشتركون في سمات عامة لابد للخطيب مراعاتها وأخذها بنظر الإعتبار، لذلك يجب على الخطيب ان يتطرق لنوع خاص من الموضوعات والأفكار، ويستدعي أسلوباً خاصاً في المعالجة، فإذا عرف الخطيب أحوال المخاطب وعاداتهم وأخلاقهم ودينهم، يتوضح لديه ما يجب فعله لكي يكون خطبته مقبولة ومؤثرة ومقنعة[٦٢].فيخص جمهوره بما يتناسب مع

([٥٨]) الخطابة العربية، مفهوما ووظيفة واسلوبا، د.محمد عمر مليطان/٦١.

([٥٩]) ينظر:الخطابة، أرسطو/٢١٢.

([٦٠]) عناصر بناء المقالة، موقع الدكتورة عائشة الحكمي، الانترنت، www.dr-aysha.com

([٦١]) إعداد الخطبة وبنائها، د.صالح بن عبدالله بن حميد، www.al-islam.com

([٦٢]) فن الخطابة، الشيخ إبراهيم البدوي/ ٢٣٩.

مستواهم الثقافي والحضاري وحتى الديني، حيث أن لكل نمط من الناس مقالاً ولا يخاطب الجميع بطريقة واحدة، ولا بلهجة واحدة.

ثالثاً: الأسلوب:- حين تتحدث عن الأسلوب يجب أن تراعي فيه (المخاطِب والمخاطَب والخطاب). ويقول بيفون :"اما الأسلوب فهو الإنسان عينه"[٦٢]، وتعريف آخر يعتمد على الأثر الذي يتركه الأسلوب على المستمع يقول فلوبير:"الأسلوب وحده طريقة مطلقة لرؤية الأشياء، ويتطور بالأثر الذي يتركه"[٦٤]، والخطيب حين يهيء خطبته، تكون امامه صورة المتلقي، وهذه الصورة لا تفارق ذهنه، فيجعل لكل مقامٍ مقالاً، ويكون لهذا الأسلوب أثر في المتلقي "الذي قد يصل الى حد الإمتاع والإقناع فضلاً عن شدّ الإنتباه أو الإثارة"[٦٥]. وينظر الى الأسلوب من زاوية الخطاب كونه "هو الطريقة للتعبير عن الفكر بواسطة اللغة"[٦٦]. والاسلوب ايضا "إيفاء الموضوع حقه، لا يكون هناك إطناب ممل ولا إيجاز مخلّ ولا صنعة ولا تكلف"[٦٧].

إن عبارة (تكلم حتى أراك) هي تعبير بليغ عن مقدرة أسلوب الرجل عن شخصيته أمام الناس، فنقف على معلومات جوهرية و مهمة بمجرد بدء الرجل بكلامه، نقف على معلومات عنه، فنخمن البيئة التي عاش فيها الرجل من خلال اللكنة او اللهجة وكذلك على العمل الذي يمارسه من خلال بعض الألفاظ والمفردات بعينها والوقوف على معلومات كثيرة عنه كالمستوى الإجتماعي الذي ينتمي إليه، والوضوح والغموض والثقة بالنفس[٦٨].

للأسلوب سلطان يفوق سلطان العقل، وأثر لا يمحوه الدليل، تتكون الخطبة من ألفاظ وجمل، يتحدث بها الخطيب، فتضفي على الخطيب الهيبة، ويزداد إحترامه من لدن السامعين وتثير في النفوس صوراً لا حد لها. يتوجه المستمع الى الخطيب بسمعه وذوقه وفكره، وللكلمات أثر على السمع وللجرس في النفس وقع وللعقل فيه الإدراك[٦٩].

ومما يزيد في جمال أسلوب الخطيب ان يتطرق الى بعض السجعات التي تأتي عفو الخاطر، البعيد عن التصنع والتكلف، وأن يتضمن كلامه الأضداد (التقابل والتطابق) وكذلك الإقتباس والتضمين، والتكرار الذي لا يؤدي الى الملل والسأم بغية توكيد الكلام وتثبيت وتقرير الأمر في الأذهان.

ففي خطبة الرصافي التي ألقاها في الجلسة الاربعين المنعقدة صباح الثلاثاء، ١٠آذار/١٩٣١م، يقول فيها":هذه إستقالة يس الهاشمي وقد تقدمتها إستقالة ناجي السويدي وكلتاهما إستقالة ولكن بينهما بوناً عظيماً فهنا يصدق تماماً ما قاله المتنبي:

وقد يتقارب الوصفان جداً و موصوفاهما متباعدان"[٧٠].

إمتازت الخطبة هذه بوضوح فكرتها التي هي إجراء مقارنة بين النائب ناجي السويدي الذي كان نائباً عن المعارضة مع النائب يس الهاشمي الذي كان مع الحكومة ضد المعارضة. يطالب ويسترحم من المجلس العالي رفض إستقالته أيضاً كما رفض إستقالة ناجي السويدي.

---

(٦٢) الأسلوب والأسلوبية، عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٢، تونس،١٩٨٢/٦٧.

(٦٤) الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأديب الملتزم بالإسلام، د.عدنان علي رضا النحوي/١٥٥.

(٦٥) في الأسلوبيات، د.زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠١٠/١٣.

(٦٦) الأسلوب والأسلوبية، بيرجيرو، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، لبنان، (د، ت)/٦.

(٦٧) الخطابة فن التأثير والاقناع، الشيخ احمد عطا اسماعيل/٣٦٣.

(٦٨) الخطابة السياسية في العصر الحديث، د.عماد عبداللطيف، دار العين للنشر، ط١، ٢٠١٥/١٣٧.

(٦٩) إعداد الخطبة وبناؤها، د.صالح بن عبدالله بن حميد موقع الإسلام WWW.Al-islam.com

(٧٠) الرصافي خطيباً/٢٢.

يجري مقارنة بين النائبين اللذين قدما إستقالتهما، ويقول:(كلاهما إستقالة ولكن بينها بوناً عظيماً، ويستدل بقول المتنبي: وقد يتقارب الوصفان جداً وموصوفاهما متباعدان[٧١].

من حق ناجي السويدي أن يقدم إستقالته، إلا ان الهاشمي فكان عليه الإستمرار وعدم تقديم الإستقالة بحسب رأي الرصافي، فيأتي ببيت شعري ليحثه فيه الإستمرار وإقناعه ويستذكر له هذا البيت الشعري:

أما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا[٧٢].

إستعمل بعض الألفاظ التي تعبر عن خبراته النفسية وعواطفه، بلغة واضحة وسهلة وبسيطة لا غموض فيها، لايكلف نفسه الزخارف اللفظية والفنون البلاغية الا ما جاءت عفو الخاطر، كونه يعنيه نقل الفكرة الى الحاضرين، ولا يهتم بالقضايا النحوية والصرفية كثيراً، حين قال:(تلك إستقالة صادرة عن رجاء وهذه إستقالة صادرة عن يأس). إستعمل الرصافي التضاد (الطباق) في لفظتي (رجاء ويأس) حيث أن للفنون البلاغية وقع كبير في نفوس المستمعين، جاءت الكلمتان مقارنة بين إستقالة ناجي السويدي الذي يصفه في خطبة سابقة بأنه:" النائب المعارض الذي كان يخطب في هذا المجلس بلغة من النار"[٧٣]، مع إستقالة النائب يس الهاشمي الذي ليس مع المعارضة، وتمكن من جلب إنتباه السامعين خلال تضمينه لبيت المتنبي الذي ذكرناه والذي يتطابق مع الهدف من خطبته. تناول الرصافي الجمل والعبارات الطويلة، الا انها معبرة عن الهدف بأسلوب متسلسل، كل فقرة تدعم الفقرة السابقة لها، والنهاية مرتبطة بالبداية وهكذا.

يستمر الرصافي ويفند رأي النائب يس الهاشمي ويدعم قوله بالأدلة ليثبت ما يقول:"يقولون: لم يتسع لنا المجلس للقيام بواجباتنا النيابية وأنا اشهد أنهم قد قاموا بالواجبات النيابية حق القيام وقد خطبوا في هذا المجلس الخطب الطوال وكلا هجوم شتوم على الحكومة وهذا كل ما يستطيع ان يفعله النائب فهل كان من واجباتهم إطلاق المسدسات ولم يطلقوها؟ أم هل كان من واجباتهم أن يبصقوا في وجه الوزراء ولم يبصقوا؟ أن من واجب النائب أن يتكلم بما يوحيه اليه ضميره ويعتقد بأنه الحق نعم ان الأمور تجري بخلاف ما يريدون ولكن هذا الحكم في جميع مجالس الدنيا لأن الحكم للأكثرية في جميع بلدان العالم"[٧٤].

يظهر لدينا جلياً خبراته الواسعة التي إكتسبها حين كان نائباً في البرلمان العثماني (المبعوثان) عندما قال: (ان الحكم للأكثرية في جميع بلدان العالم). لكي يكون كلامه مؤثراً ومقنعاً للجمهور، يتطرق الرصافي الى الجناس الإشتقاقي الذي هو "تجميع لإشتقاقاتها"[٧٥]، في قوله:(وأنا أشهد أنهم قد قاموا بالواجبات النيابية حق القيام وقد خطبوا في هذا المجلس الخطب الطوال)، فالجناس الإشتقاقي هنا يقع في (قاموا- حق القيام) و (خطبوا-الخطب الطوال). وتطرق الى الأسلوب الإنشائي لجلب إنتباه الحاضرين حين إستخدم الإستفهام وكرره، لتثبيت كلامه في ذهن السامعين قال: (فهل كان من واجباتهم إطلاق المسدسات ولم يطلقوها؟ أم هل كان من واجباتهم أن يبصقوا في وجوه الوزراء ولم يبصقوا؟). والإستفهام هنا ليس إستفهاماً حقيقياً وإنما إستفهام مجازي، لأن الخطيب يعرف

(٧١) ديوان المتنبي تحقيق عبدالرحمن البرقوقي، ج٤، بيروت، ١٩٧٩/ ٣٨٣. البيت من قصيدة للمتنبي مطلعها:

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

(٧٢) لم أهتد الى قائله، الا أن هناك ابيات مشابهة لها: أطلب العلم ولا تضجر من مطلب فآفت الطالب أن يضجرا

(٧٣) الرصافي خطيباً/ ١٩.

(٧٤) م.ن / ٢٢.

(٧٥) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ط١٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨/ ٣٩٩.

الجواب مسبقاً ولا يريد الجواب من الحاضرين، وتكرار الإستفهام المجازي هنا جاء لدفع الملل والتغافل لدى الجمهور وتثبيت الفكرة في ذهنهم، ومن خلال مقارنته للإستقالتين، يرى إستقالة ناجي السويدي أشرف من إستقالة يس الهاشمي، لسبب يعود الى الجد والإجتهاد والرجاء الذي يتميز به ناجي السويدي، على عكس ما يتميز به الهاشمي من يأس وفتور، نلاحظ بأن الخطيب قد كرر كلامه، والتكرار قد يؤدي الى الملل والضجر الذى وجب تجنبه الا للضرورة الملحة، وجاء الخطيب بمرادفات لألفاظه، والمرادف يضيف معنى الى الكلمة المرادفة لها، فأضاف لفظة (جد و إجتهاد الى كلمة رجاء، وكلمة الفتور التي وصف بها الهاشمي الى كلمة اليأس)، ويصف موقف الهاشمي وإستقالته، بأنه ترك للواجب والهروب منه، ويستدل على ذلك بكلامه "اللهم الا أن يقال: إن المعارضين ارادوا أن يهجموا على الحكومة وجعلوا هجومهم بشكل إستقالة إذا كان هذا هو المراد فقد حصل ولا حاجة للمناقشة في هذه الإسقالة"[٧٦].

بدأ الخطيب يختصر خطبته، لأن في مجالس البرلمانات يتم تحديد أوقات معينة لكلام النواب، لذا بدأ يترك كلامه لنواب آخرين زملاء له. يختصر كلامه في الخاتمة ويدعو ويسترحم من المجلس العالي "أن يرفض هذه الإسقالة أيضاً"[٧٧]، بالرغم من أنه كان يفند رأي الهاشمي وحججه لتقديم إستقالته، الا اننا نراه يسترحم من المجلس العالي رفض إستقالته، وهذا ناتج عن موقفه الإنساني وخبراته وتجاربه الطويلة في هذا المجال. فأسلوبه في هذه الخطبة يأتي إنعكاساً لشخصيته وتجاربه وحالته النفسية، وتطرقه الى التضمين لأبيات شعرية والى بعض الفنون البلاغية جاءت لإضفاء جرس موسيقي وإيقاع جميل على كلامه، بغية التأثير والإقناع ، وكذلك تطرقه الى تكرار بعض الجمل حول الاستقالتين يأتي لتثبيت الأمر وتقريره في ذهن السامع، مستنداً على الإستدلال لما يقوله لزيادة التأثير والإقناع.

وفي خطبة ألقاها في الجلسة الرابعة المنعقدة يوم السبت. ٣٠أيار/١٩١٣م، بمناسبة نقل وإضافة أموال الى ميزانية سنة ١٩٣١م، لدفع تعويضات الى شركة الطيران البريطانية المحدودة، ووتخصيص مبلغ فيه مقداره مائة ألف ربية، يقول الرصافي: "أعتقد أن هذه المسألة من المسائل الحقوقية وإنما هي مسألة شرف فقط. ونحن دائماً وفي كل وقت نعيب الغربيين بأنهم لايراعون العهود ولا يوفون بالوعود فمن هذه الوجهة أرى من القبيح جداً ان نظهر في هذه المسألة بمظهر الناكل بالوعد"[٧٨].

تصميم الخطبة هذه جاءت متطابقة مع بناء الخطبة من حيث الشكل والمضمون (البناء الخارجي والبناء الداخلي). فمن حيث البناء الداخلي، تحتوي الخطبة على الفكرة التي هي دفع تعويضات الى شركة الطيران البريطانية المحدودة، وتخصيص مبلغ لها قدره مائة ألف روبية[٧٩].

خطبة الرصافي هذه تتناول مسألة تتعلق بالخصال الحميدة التي يتمتع بها الشعب العراقي، فهي خطبة نقدية جاءت لتنقد الغربيين بأنهم فقط يراعون مصالحهم المادية، ولا يهمهم الوعود والمعاهدات، ويستدل لرأيه هذا بقول منطقي، فيقول: "نحن معاشر الشرقيين إذا وقعنا بين ضررين مادي ومعنوي ففي كل وقت نختار الضرر المادي ونبتعد عن الضرر المعنوي وهذه عادة قومية معروفة عنا"[٨٠]، الكلام موجه الى أعضاء البرلمان والجلسة البرلمانية،

([٧٦]) الرصافي خطيباً /٢٣.

([٧٧]) م.ن /٢٣.

([٧٨]) م، ن /٦٥.

([٧٩]) الرصافي خطيباً/ ٦٥.

([٨٠]) م.ن /٦٥.

ويراعي الخطيب فيها حال السامعين الذين هم بمستوى عالٍ من الثقافة والخبرة حيث هم نواب عن الشعب العراقي جميعاً. الفكرة ليست بجديدة وإنما قدمها الى المجلس بشكل مغاير ومؤثر حين قال: إنما هي مسألة شرف.

بدأت الفكرة تنمو وتتطور، حين تطرق الى مهاجمة الغربيين وتحدث عن تنكيلهم للوعود والمواثيق، فهم يختارون المادة ولا يهم المسائل التي تؤدي الى الإخلال بالشرف والسمعة. والخطيب يرفض ويفند فكرة النائب ساسون حسقيل حين قال: "إن الحكومة إذ أتت بلائحة الى المجلس تكون قد وفت بوعدها وللمجلس الحق والحرية في أن يرفض اللائحة أو يقبلها والحكومة تكون قد وفت بوعدها"[٨١]، هذه الفكرة مرفوضة لدى الخطيب على الإطلاق ويستدل بقوله على رفضه للفكرة هذه مقرونة بدليل "أظن هذا غير صحيح لأن الحكومة تمثل الشعب وتتكلم باسم الشعب وبالإستناد الى الشعب ووعد الحكومة هو وعد الشعب فإذا رفضت يكون الشعب قد رفض لا الحكومة"[٨٢]. فلدى الخطيب، الشعب هو مصدر كل قرار لا الحكومة، لأن الحكومة تمثل الشعب وتتكلم باسم الشعب، لذا أي قرار تصدره الحكومة فهي بالأصل صادر عن الشعب.

أما أسلوبه فالخطبة موجه هنا الى أعضاء المجلس النيابي، ويريد أن يثير فيهم مسألة التعويضات هذه بأنها مسألة شرف وأخلاق يختاره الشعب العراقي على العكس من الغربيين الذين يفضلون المادة على الأخلاق والشرف.

يتناول السجع الذي هو "الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر"[٨٣]، والسجع يقتضيه المعنى لأجل الإستحسان والقبول، لما له من أثر في المعنى وأداء الغرض. نتحسس إيقاع السجع، فهو يخلق الشعرية خلال قدرته على خلق إيقاعه المتكرر من الأسجاع ليدفع المتلقي الى الإقناع ويبعد عنه الملل والضجر، يتحدث الخطيب بالسجع وهو يهدف الى جلب إنتباه المتلقي وإثارته، حيث يفتخر بشرقيته وبآبائه وأجداده العراقيين الذين كانوا شرفاء وكرماء، فيقول: (.... إنما هي مسألة شرف فقط ونحن دائماً وفي كل وقت نعيب الغربيين بأنهم لا يراعون العهود ولا يوفون بالوعود...). وقع السجع في نهاية الفاصلتين لا يراعون العهود ولا يوفون بالوعود، والسجع هنا له وقع كبير في السامعين، يحاول الخطيب إضفاء دلالات ومعاني جديدة لإيصال فكرته الى المتلقي، بالإضافة الى إحداث موسيقى تعوض القافية في الشعر، ويعد هذا السجع كذلك ترادفاً سياقياً، حيث أنه كرر المعنى نفسه بمرادف له (لا يراعون العهود ولا يوفون بالوعود).

ويتطرق الخطيب الى التضاد (الطباق والمقابلة) والمقابلة السياقية بغية إحداث تأثير في السامع خلال الجرس الصوتي داخل الالفاظ، فقوله: "نحن معاشر الشرقيين إذا وقعنا بين ضررين مادي ومعنوي، ففي كل وقت نختار الضرر المادي ونبتعد عن الضرر المعنوي وهذه عادة قومية معروفة عنا"[٨٤]. وقع الطباق في الكلمتين (مادي ومعنوي، ويرفض اللائحة ويقبلها)، وتقع المقابلة السياقية في (نختار الضرر المادي ونبتعد عن الضرر المعنوي)، فكلمة (نبتعد، يقابلها نقترب) أما هنا فبدلاً من أن يقول نقترب من الضرر المادي ونبتعد عن ضرر المعنوي، جاء بكلمة مرادفة وقريبة لها (نختار) في المعنى لذا يسمى بالمقابلة السياقية التي إزاءها لا يخضع الخطيب "لضغط

(٨١) م، ن/٦٥.

(٨٢) م، ن/٦٥.

(٨٣) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ت: غريد الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠٠٨/ ٢٧٨.

(٨٤) الرصافي خطيبا/٦٥.

المعجم المشترك بقدر ما يستجيب لملكته الخاصة في الخلق الفني"[٨٥]، يتوسع الخطيب هنا من دلالة تقابلاته خلال الإشارة الى المقابلة وضده بشئ من التقارب في المعنى.

ويستعمل الرصافي التكرار، فيكرر كلمة (الشعب) عدة مرات في قوله: "لأن الحكومة تمثل الشعب، وتتكلم بإسم الشعب، وبالإستناد الى الشعب، ووعد الحكومة هو وعد الشعب فإذا رفضت يكون الشعب قد رفض لا الحكومة"[٨٦]، فلكون النص صورة لصاحبه، لذا لا يجوز له أن يكرر ما يشاء وكيف ما يشاء، فتكراره لكلمة (الشعب) عدة مرات، يدل على أهمية هذه الكلمة لديه ومدى إهتمامه لها وحبه لها. ولأن التكرار يتعلق بقوانين مرتبطة بنفس الخطيب وتجاربه الشخصية والشعورية والنفسية وبالتالي يرتبط بالتجربة الفنية للخطيب، فقد يسهم في التأثير والإقناع، لأن التكرار يكتسب معاني جديدة من خلال ترديد أصوات معينة فيخلق جواً موسيقياً متناسقاً، مما يؤدي الى الإفهام والإيضاح وكذلك تجاوز الدلالة الى معنى آخر يقتضيه السياق، إضافة الى ما ذهب اليه النحاة من غاية التوكيد للمعنى في نفس المتلقي وتقريره، وإقناعه بمضمون الخطبة. يحاول الخطيب الإلتزام بالوقت المحدد له، فإختصر في الكلام وأنهى خطبته بتأكيد كلامه وتكراره للمبدأ الذي يؤمن به الا وهو الشرف والخلق الرفيع لدى الشرقيين والعراقيين، "وعليه أنا أرى من الموافق قبول هذه المسألة من قبيل إثبات دليل مادي تجاه الغربيين بأننا وإياهم في مثل هذه المسائل متخالفون على خطين متخالفين"[٨٧]، فيختار الضرر المادي لا المعنوي على خلاف الغربيين الذين يختارون الضرر المعنوي ويرضون بالضرر المادي.

أما لغة الخطيب فلغة سهلة وواضحة بعيدة عن التعقيد، يستخدم الكلمات التي تحوي أصواتاً تعبر عن خبرات الخطيب النفسية وتعبر بها عن عواطفه وإنفعالاته، ألفاظه واضحة تتضمن الجرس الموسيقي المعبر والإيقاع الموحي الذي له وقع جميل على الأذن والنفس. فلا نجد في خطبته كلمات ذات منطق ثقيل وغريب وغير مأنوس، لكي لا ينفر منها النفوس. ونلاحظ بأنه لا يهتم إهتماماً كبيراً بالناحية اللغوية والنحوية والصرفية حيث أنه في موقع يحاول إقناع المقابل بمضمون فكرته.

([٨٥]) خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٠٢/١٩٨١.

([٨٦]) الرصافي خطيبا/٦٥.

([٨٧]) م.ن/٦٥.

ـ الخاتمة ـ

■ لاتزدهر الخطابة البرلمانية في ظل الانظمة الدكتاتورية أو القمعية التي تكون فيها قوة السيف هي التي تحكم، بل تغيب وتتراجع، فهي تظهر وتنمو فقط في البلدان التي تتمتع بحرية التعبير والديمقراطية.

■ عرف الرصافي كشاعر عراقي وطني مشهور، الا اننا وجدنا كتابا طبع حديثاً، يتضمن خطب الرصافي البرلمانية، اذن الرصافي شاعر وسياسي وخطيب بارع يقف بخطبه وشعره دائماً الى جانب شعبه مدافعاً عنه ضد الاستعمار وأطماعه والمتعاونين معهم.

■ قوة خطب الرصافي البرلمانية، تأتي عن ثقافته التي تظهر من خلال استشهاداته ومقارناته، ومن مدى مقدرته اللغوية، والوعي السياسي ومن قوة شخصيته التي يتمتع به الرصافي، والتي تمكنه من احترام الجماهير له واقناعهم بأقواله ، وكذلك الثقة الموجودة بينه وبين جمهوره.

■ يلتزم الرصافي ببناء وتصميم الخطابة، يتكون لديه البناء الخارجي من (المقدمة، والعرض، الخاتمة)، والبناء الداخلي(اللغة، والفكرة، والأسلوب)

■ ويراعى في أسلوبه(الخطيب والمخاطب والخطبة)، اسلوبه تعبير بليغ عن مقدرته الشخصية يمكّنه من الاستيلاء على عقول السامعين وأذهانهم، بحيث يتجاوز الاطناب المملّ والايجاز المخلّ الخالي من التكلّف.

■ يتناول السجع والصور الفنية في خطبه، لإضفاء موسيقى عذبة على نصه، وإقناع الجمهور بمضمون خطبته ودفع الملل والضجر لدى جمهوره.

■ يتطرق الى التضاد(الطباق والمقابلة والمقابلة السياقية)، لإحداث تأثير في السامع خلال الجرس الصوتي داخل الالفاظ المتضمنة للاضداد.

■ يتطرّق كذلك الى التكرار الذي هو مرتبط بنفس الخطيب وتجاربه الشخصية والشعورية، وبالتالي بتجاربه الفنية، التي قد تسهم في الاقناع والتأثير.

پوختەی توێژینەوەکە

الرصافی، یەکێکە لەو ئەدیبە بەناوبانگانەی کەرۆڵێکی گەورەیان هەبوو لە بوژانەوەی ئەدەبی عەرەبی نوێدا، شاعیر وسیاسەتمەدارو وتاربێژێکی نیشتمان پەروەری پڕ ئەزموون و بەتوانایەو، بەرگری بەشیعر و وتارە پەرلەمانییەکانی لە دیاردە خراپەکانی سەردەمی خۆی لە(نەخۆشی ونەخوێندەواری وهەژاران) دەکات، بەتایبەتی لەنێوان ساڵەکانی١٩٣٠ـ١٩٣٨، لەو کاتانەی کە ئەندامی ئەنجومەنی نوێنەرانی عێراق بووە.

توێژینەوەکە پشت بە بنەمای شیکاری ڕەخنەگرانە دەبەستێت لەشیکردنەوەی وتارە پەرلەمانییەکانی الرصافی دا، ودەستپێکێك و دوو تەوەر لەخۆ دەگرێت، لەدەستپێکەکەدا بەشێوەیەکی گشتی باسی وتارو ڕەگەزەکانی وتار دەگرێتە خۆی، پاشان دەچێتە سەر وتاری سیاسی و وتاری پەرلەمانی. هەروها لەدوو تەوەردا، گرنگی بە بنیاتی دەرەوەو ناوەوەی وتاری پەرلەمانی دەدات ، وەك (پێشەکی، خستنەڕوو، وکۆتایی)، لەگەڵ گرنگیدان بەزمان وبیرۆکەو شێوازی وتارەکان، زیاتر گرنگیش بە وێنە هونەری و هونەرە ڕەوانبێژییەکان ودیاردە شێوازگەراییەکان دەدات.

Abstract

Al-Rassafi is considered as one of the Arabic renaissance poets، he is a poet، orator، and political patriot. He was defending poverty and illiteracy with his poems and speeches when he was a deputy in the Council of Emissary of Ottoman as well as the time when he was a member of the Iraqi Parliament during ١٩٣٠ to ١٩٣٨.

This study is an analytical and critical method in analyzing Al-Rassafi's parliamentary speeches، it consists of an introduction and two chapters، and it discusses features of speeches in general and then political and parliamentary speeches. In two sections، it focuses on analytical discourse of parliamentary speeches (introduction، content، and conclusion)، as well as focusing on the language، ideas، rhetorical and style of speeches.

المصادر والمراج

ـ أدب الدين والدنيا، ابو الحسن علي الماوردي، ج١، المكتبة العالمية، القاهرة،(د. ت).

ـ الأسلوب والأسلوبية، عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٢، تونس،١٩٨٢.

ـ الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأديب الملتزم بالإسلام، د.عدنان علي رضا النحوي.

ـ الأسلوب والأسلوبية، بيرجيرو، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، لبنان، (د، ت).

ـ إعداد الخطبة وبنائها، د.صالح بن عبدالله بن حميد، www.al-islam.com.

ـ الامالي، أبوعلي القالي، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ج١، ١٩٢٦.

ـ الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ت: غريد الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠٠٨.

ـ البيان والتبين، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، ج٢، مكتبة الجاحظ، بيروت، (د.ت).

ـ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، د،ت.

ـ جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ط١٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨.

ـ الخطابة وفن الالقاء، د.أشرف محمد موسى، مطبعة الخانجي بالقاهرة، ١٩٧٨.

ـ الخطابة السياسية في العصر الحديث، د.عماد عبداللطيف، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٥.

ـ الخطابة فن التأثير والإقناع، الشيخ أحمد عطا إسماعيل، دار المحجة البيضاء، بيروت ـــ لبنان، ٢٠١٣ .

ـ الخطاب السياسي وأثره في تحريك الشعوب، أمجد أبو العلا، يقظة الفكر،٢٠١٠/www.feker.net/ar.

ـ الخطابة أصولها وتاريخها في أزهى عصورها عند العرب، محمد أبو زهرة، دارالفكر العربي، بيروت،١٩٣٤.

ـ الخطابة وأعداد الخطيب، د. عبد الجليل عبد شلبي، دار مصر العربية للنشر والتوزيع، د.ت.

ـ الخطابة العربية، مفهوما ووظيفة واسلوبا، د. محمد عمر مليطان، ط١، (د.م)، ٢٠١٠.

ـ الخطابة، ارسطو، ترجمة: عبدالقادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٨.

ـ الخطب والمواعظ، محمد عبدالغني حسن، ط٤، دار المعارف بمصر، القاهرة/(د.ت)
ـ الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار،ج١، دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ.
ـ خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨١.
ـ ديوان المتنبي تحقيق عبدالرحمن البرقوقي، ج٤، بيروت، ١٩٧٩.
ـ الرصافي خطيباً. مجموع خطبه في مجلس النواب ١٩٣٠-١٩٣٩.
ـ الشفاء، قسم الخطابة،ابن سينا، ط١، القاهرة، ١٩٦٨.
ـ شرح مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، دار الفكر، ط١، مدينة قم،١٤١١هـ.
ـ صدمة الحداثة، أدونيس، دار الفكر للطبع والنشر، ط٥، بيروت، ١٩٨٠.
ـ عناصر بناء المقالة، موقع الدكتورة عائشة الحكمي،www.Dr.aysha.com
ـ فن الخطابة، أرسطو ترجمة عبدالرحمن بدوي، دار الشؤن الثقافية، ١٩٦٨.
ـ فن الخطابة، إبراهيم البدوي، ط٣، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان/٢٠٠٨.
ـ فن الخطابة، د. أحمد محمد الحوفي، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١.
ـ فن الخطابة، دايل كارنجي، ترجمة: د.رمزي الحسامي، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٤.
ـ فنون الكتابة الإعلامية، فن المقالة، د.صالح أبو أصبع ومحمد عبيدالله، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٢/٣٠.
ـ في الأسلوبيات، د.زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠١٠.
ـ المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر، ج٣، إنتشارات الفيروز آبادي، مدينة قم، (د. ت).
ـ معجم مصطلحات الادب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤.
ـ النقد الادبي الحديث، د.محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت/١٩٩٧.